﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: 43 - 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

الانتقال من ذكر الصيحة إلى تفاصيل البعث وخروج الناس من قبورهم

بعد أن أُمِرَ النبيُّ ﷺ بانتظار الصيحة، التي تُعلن بعثَ الناس، وتُؤذِن بخروجهم من القبور للحشر والجزاء؛ ناسب بيانُ أنَّ الإحياء والإماتة والبعث بيد الله تعالى وحدَه؛ ليَعلمَ النّاسُ أنَّ أمرَ بعثهم كأمر إحيائهم وإماتتهم، فهو انتقالٌ من بيان لحظة البعث الأولى، وخروج الناس من قبورهم، إلى ذكر الإماتة والإحياء والبعث، مع بيان تفاصيلِ الخروج من ذِكرِ تشقُّق الأرض عن الناس وقتَ الإحياء.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: (صير) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى المَآلِ والمَرْجِع، مِنْ ذَلِكَ صارَ يَصيرُ صَيْرًا وصَيْرورَةً[1]، وكلُّ ما في القرآن من التركيب - عدا كلمة واحدة - هو كلمة المَصير بمعنى المآل والمنتهى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: 42]، وقال هنا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

2) ﴿تَشَقَّقُ﴾: (شقق) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى انْصِداعٍ في الشَّيْءِ، ومنه الشَّقُّ: الخَرْمُ الواقع في الشيء، يُقال: شَقَقْتُهُ نصفين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عبس: 26]، وقال هنا: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ﴾[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صير).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صير).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شق)، والرّاغب، مفردات القرآن: (شق).

3) ﴿سِرَاعًا﴾: (سرع) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ البُطْءِ، فالسَّريعُ: خِلافُ البَطيءِ، وسَرْعانُ النّاسِ: أوائِلُهُمُ الَّذينَ يَتَقَدَّمونَ سِراعًا، يقال: سَرُعَ، فهو سَريعٌ، وأَسْرَعَ فهو مُسْرِعٌ، وأَسْرَعوا: صارت إبِلُهم سِراعًا، قال تعالى هنا: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾، وقال أيضًا: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43][1].

4) ﴿حَشْرٌ﴾: (حشر) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى السَّوقِ والبَعْثِ والانبِعاث، ومنه الحَشْرُ: الجَمعُ مَعَ سَوْقٍ، وقيل هو: إخراجُ الجماعة عن مَقَرِّهم وإزعاجُهم عنه إلى الحَربِ ونحوها، ولا يقال إلّا في الجماعة، قال تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: 36]، وقال: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: 19]، وقال: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: 47]، وقال هنا: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، وسمّيَ يومُ القيامة يومَ الحَشر كما سُمّي يومَ البعث والنَّشر[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تقريرُ سهولةِ الإحياءِ والإماتةِ والبَعث والحَشر على الله تعالى

في الآية الأولى يبيِّن الله تعالى أنَّه يحيي مَنْ يشاء، ويميتُ مَنْ يشاء، بقدرته وإرادته، وأنَّ إليه وحده مَرجِعَ العباد ومَصيرَهم، ويبيِّن في الآية الثانية أنَّ تشقُّقَ الأرض عن أجساد الموتى، وما يترتَّب عليه من بعثٍ وجمعٍ وحشر أمرٌ يسيرٌ هيِّنٌ على الله تعالى؛ لأنَّ قُدرَتَه لا يُعجِزُها شيءٌ من ذلك ولا من غيرِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

غَرَضُ تتابُعِ المؤكِّدات:

الإبلاغ في الردِّ على منكِري البعث، وإثباتُ اليقينيّات القَطعيَّة

جاء قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ مؤكَّدًا بإنَّ، والجملةِ الاسميَّة، وضمير الفصل، مع ضمائِرَ أربعةٍ للمتكلِّم المُعَظِّم نفسَه:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (سرع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (حشر).

للإبلاغ في إثبات اختصاص الله تعالى بالإحياء والإماتة ونفيهما عن غيره، بعد هذه الجَولة الطويلة التي قطعتها السورة الكريمة في إبراز دلائلِ قدرته وإبراز براهينِ عظمته؛ لأجْلِ ردِّ هؤلاء الكافرين المكذِّبين إلى حديقة الإيمان، فبعد أن بيَّنت السورةُ دعائمَ القدرة، ودقَّت بشائرَ النصرة، وختم بما يصدق على البعث - الذي هو الإحياء الأعظم - دالًّا بما هو مُشاهَدٌ من أفعاله سبحانه؛ أكَّده لإنكارهم البعث، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾[1].

بلاغةُ التَّذييلِ بالآية:

تأكيدُ البعثِ تذييلٌ لمقصدِ السّورة

مجيء قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ في خاتمة السورة الكريمة، بعد الأشواط التي قطعَتها في الحديث عن دلائلِ قدرة الله تعالى وبراهينِ عظمته؛ يجعل الآية بمنزلة التذييل المؤكِّد لما سبق ذكرُه، بتأكيد كَونِ الإحياءِ بعد الإماتة من شؤون الله ﷻ، ومن يسيرِ أعماله، فهو يحييهم، ويحيي غيرهم، ويميتهم، ويميت سواهم[2].

دلالةُ الجَمعِ بين ضمائرِ العَظَمَة:

تعظيمُ الله تعالى وتأكيدُ اختصاصه بالإحياء والإماتة

جمعت الآيةُ الكريمةُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ بين عددٍ من الضَّمائر للمتكلِّم المعَظِّم نفسَه - اسمُ (إنَّ)، وضميرُ الفصل، والفِعلانِ، والمجرورُ بـ(إلى) - لتعظيم المسنَدِ إليه، وهو الله تعالى، وتأكيدِ ما له سبحانه من سلطانٍ مُطلَقٍ في مُلكه، وأنَّه يفعل فيه ما يشاء، وأنَّه بهذا السلطانِ وتلك الخصوصيَّةِ يُحيي كلَّ مَيِّت، ويُميت كلَّ حيٍّ، وبهذا السلطان يَصيرُ كلُّ ما في الوجود إليه، يقبِضُه، ويبسُطُه كيف يشاء، فالبعث الذي يُنكره المشركون هو أمرٌ واقع في سلطان الله واختصاصه، فكما مَلَكَ سبحانه الحياةَ يملِكُ الموت، وكما مَلَكَ الموتَ يملكُ البعث[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 441.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 331.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 497.

فائدةُ التعبير بالفِعلَين ﴿نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾:

مَشاهِدُ الإحياءِ والإماتة سنَّةٌ مستقرَّةٌ وعادةٌ مستمرَّةٌ

جاء التَّعبير بفعل الإحياء وفعل الإماتة مضارِعَين في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ لما تُفيده المضارعةُ من الدلالة على تجدُّد مَشاهِدِ الإحياء والإماتة، وكونهما سُنَّةً مستقرَّةً وعادةً مستمرَّةً ألِفَها الناسُ، ودَرَجوا على مُشاهدة آثارها، وفي إسنادهما إلى ضمير الحقِّ بصيغة التعظيم دلالةٌ على سهولته على الله تعالى، بما له من العَظَمة والاقتدار[1].

بلاغةُ الجِناسِ النّاقِص:

الإحـيـاء خِصّيصَةٌ من خصائص الربوبيَّة

بين ضمير المتكلِّم والفعل المضارع، من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ﴾ جناسٌ ناقصٌ؛ إذ اتَّفقت الكلمتان في حرفين - هما النون والحاء - واختلفتا في بقيَّة الحروف، وفي هذا الاتِّفاق الجُزئيِّ تأثيرُه على النَّفس؛ ليترسَّخَ فيها أنَّ الإحياء جزءٌ من اختصاصات الله الواسعة، التي لا يستطيعها غيرُه، ولا يقدر عليها أحدٌ سواه.

دلالةُ العطفِ:

جاء فعل الإماتة معطوفًا على فعل الإحياء، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ للدلالة على العلاقة بين الإحياء والإماتة، وأنَّ الموت هو نتيجة الحياة في عالم المشاهدة، وهو مقدِّمة لما سيكون في عالم الغيب.

بلاغة الطباق وغرضه:

الله تعالى قادرٌ على الجمع بين الشيء وضِدِّه في آنٍ واحدٍ

جمعت الآيةُ بين فعلين متضادَّين، وأسندت كلَّ واحد منهما إلى ضمير الحق بصيغة التعظيم، في قول الله تعالى: ﴿نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ للدلالة على عظيم قدرة الله، وأنَّه صاحب القدرة المطلقة في الجمع بين الشيء وضِدِّه في آنٍ واحدٍ، وأنَّ كِلا الأمرين سهلٌ عليه، ولا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 441.

يُعجِزه شيءٌ منهما ولا من غيرهما، وأنَّ مدارَ الخلقِ بين الإحياء والإماتة، فالأمر بيده وحده تعالى.

نكتةُ تقديمِ الإحياء:

قُدِّم ذكر الإحياء على الإماتة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ لكونه حاصلًا في الواقع قبل الإماتة، ولأنَّ الآية تأتي في سياق تأكيد وقوع البعث، وإبطالِ إنكار الكافرين له، ودَحضِ كُفرِهم به.

توجيه العطف بالواو:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾؛ لعطف ما بعدها على ما قبلها، وأوثِر العطف بها؛ للدلالة على أنَّ قُدرةَ الله وسلطانَه لا يقتصر على الإحياء والإماتة في الدنيا، ولكنَّه مُتَّسِعٌ ليشمل البعث والحشر في الآخرة؛ ليُثيبَ المؤمنَ على إيمانه وعمله، ويُجازيَ الكافرَ على إنكاره وكفره؛ اتِّساقًا مع قصد السورة إلى مؤانسةِ النبيِّ ﷺ وبِشارته بصِدقِ ما هو عليه وحقّيته، وتهديدِ المشركين وتحذيرهم من الاستمرار على ما هم فيه.

سلطانُ الله يشملُ عالَمَي الغَيب والشَّهادة

دلالةُ حرفِ الانتهاءِ المُضاف:

(إلى) في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الانتهاء، وفي إدخاله على ضمير الجلالة بصيغة التعظيم؛ دلالة على أنَّ الناس يَصيرون إلى الله تعالى بعد بعثهم في الآخرة؛ ليَجزيَ المُحسِنَ على إحسانه، ويُعاقِبَ المُنكِرَ على إنكاره، وفي إيثار التعبير بضمير العظمة نوع من التفخيم والتعظيم الذي تَنْخَلِع منه القلوب، وتَرتَجِف له النفوس، لعلمها بأنَّها صائرةٌ إلى المَلِكِ الذي لا مُلْكَ في ذلك اليوم لأحدٍ إلّا له.

مصائِرُ الناس تنتهي في الآخرة إلى المَلِكِ الذي لا مُلك لأحدٍ غيرِه

غَرَضُ تقديمِ شِبهِ الجُملة:

قُدِّم الجارُّ والمجرور المتعلِّق بالخَبَر على المبتدأ، في قول الله تعالى:

﴿وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ للعناية والاهتمام[1]، ولِقَصرِ المصير في الآخرة على كونه إلى الله تعالى وحدَه، قصرَ موصوفٍ على صفةٍ قصرًا حقيقيًّا، والمعنى: (إلينا المصيرُ بعد الحياة والموت لا إلى أحدٍ غيرنا).

دلالة تعريف ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾:

كلُّ شيء صائرٌ إلى ما قدَّره له الله يوم البعثِ

(أل) في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ تحتمل أن تكون لتعريف الجنس، أي: (كلُّ شيء صائرٌ إلى ما قدَّرناه له)، وأكبر ذلك هو ناموس الفناء المكتوب على جميع الأحياء، ويحتمل أن يكون لتعريف العهد، أي: (المصير المتحدَّث عنه)، وهو الموت؛ لأنَّ المصيرَ بعد الموت إلى حكم الله[2]، والمصيرُ بهذا التركيب لا يكون إلّا على يوم البعثِ.

بلاغةُ فنِّ التَّوجيه البديعيِّ:

وعيدٌ من عذاب الدُّنيا، ووعيدٌ من عذاب الآخرة

يرى ابن عاشور أنَّ الآياتِ من قول الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ - مع ما تفيده من تسلية الرسول ﷺ - تُشير بطريقة التوجيه البديعيِّ إلى تهديد المشركين بعذابٍ يحُلُّ بهم في الدنيا عَقِبَ نداءٍ يَفزَعُهم، فيلقون إثرَه حَتفَهم، وهو عذاب يومِ بدر، فخوطب النبيُّ ﷺ بترقُّب يوم يناديهم فيه منادٍ إلى الخروج، وهو نداء الصريخ الذي صرخ بأبي جهل ومن معه بمكَّة بأنَّ عيرَ قريشٍ - وفيها أبو سفيان - قد لقيها المسلمون ببدر، وكان المنادي ضَمضَم بن عمرو الغفاري، جاء على بعيره، فصرخ ببطن الوادي: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، فتجهَّز الناس سراعًا، وخرجوا إلى بدر.

فالمكان القريب هو بطن الوادي، فإنَّه قريب من مكَّة، والخروج

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 331.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 331.

خروجهم لبدر، وتعريف اليوم بالإضافة إلى الخروج لتهويل أمر ذلك الخروج الذي كان استئصال سادتهم عَقِبَه، وتكون جملة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ وعيدًا بأنَّ الله يميت سادتهم، وأنَّه يُبقي من قدَّر إسلامَه فيما بعدُ، فهو يحييه إلى يوم أجَلِه[1].

موقع ﴿يَوْمَ﴾ ودلالتُه:

إثبات البعث، وتفخيمُ يومِ وقوعه

الظَّرف في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ متعلِّق بالمَصير في الآية السّابقة، والمعنى: (وإلينا مصيرُ الخلق جميعًا يومَ تتشقَّق الأرضُ عنهم، ويخرجون من قبورهم سِراعًا إلينا)[2]، وفيه إثباتٌ للبعث، وتهديدٌ ووعيدٌ بالمجازاة على إنكاره، ووجهُ تعليق الظَّرف بما قبله: أنَّه لمّا تحقَّق أمرُ البعث غايةَ التحقُّق؛ صوَّر خروجَهم فيه، فقال معلِّقًا بما ختم به الابتداءَ ممّا قبله، زيادةً في تفخيمه وتعظيمه وتبجيله[3].

دلالة الإضافة:

الجملة الفِعليَّةُ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ في محلِّ جرٍّ بإضافةِ الظَّرف إليها؛ لتهويل أمر هذا اليوم، وتعظيم شأنه، بتصوير ما يحصل للأرض في ذلك اليوم، ممّا يساعد في حصول البعث والحشر إلى الله تعالى بيُسرٍ وسهولة.

بلاغةُ التَّعبير بالمُضارِع:

استحضار صورةِ تشقُّقِ الأرض كأنَّها حاضرةٌ ماثِلة

أوثر التعبير بفعل التَّشقُّق - الموضوعِ لانشقاق الأرض وتصدُّعِها - مضارعًا في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾؛ لما يفيده من استحضار الصورة المتحدَّثِ عنها، كأنَّها حاضرةٌ ماثِلة، تبدو فيها الأرضُ، وهي تنفرج، وتتشقَّق؛ لِتَخرُجَ منها جثامينُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 331 - 332.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 497.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.

الناس، بعد أن عادت إليها الأرواحُ؛ لتُحشَرَ بعد ذلك إلى الله، فيوفي كلَّ نفس ما كسبت بعدله وقدرته.

توجيه قراءاتِ ﴿تَشَقَّقُ﴾:

قـراءةٌ تـدلُّ على سُرعـةِ الفعل، وأخـــرى تُـبرِز صورتَها القويَّة

اختلف القرّاء في قراءة فعل التشقُّقِ، من قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾: فقرأ أبو عمرو والكوفيّون بحذف تاء التَّفَعُّلِ - التاء الثّانية من (تَتَشَقَّقُ) - وتخفيف الشين ﴿تَشَقَّقُ﴾، وقرأ الباقون بتشديد الشّين - بِقَلب التّاء الثّانية شينًا وإدغامِها في فاء الفعلِ: ﴿تَشَّقَّقُ﴾[1]، وقراءة التخفيف تدلُّ على حصول التشقُّق على وجهٍ بالغ في السهولة والإسراع، بينَما تُبرِزُ قراءةُ التضعيف انصداعَ الأرض وانفراجَها، ليَخرُجَ الأمواتُ سِراعًا من تحت أنقاضها.

فائدةُ تعريفِ ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾:

سـتُـصـاب الأرضُ من هَولِ يـــوم الـبـعـث بـمـا يُـجـبِرها عـلـى الـتـصـدُّع والتشقُّق

(أل) في قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾؛ لتعريف العهد الذهنيِّ أو الذِّكريِّ؛ إذ يُراد بها الأرض المعروفة التي يطؤها الناس بأقدامهم، ويوارون فيها موتاهم، فتختلط لحومهم وعظامهم بترابها، وهو ما سبق ذكرُ عجَبِهم من البعث منه، في قول الله تعالى من مَطلَع السورة: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ [ق: 3]، فهذه الأرضُ ستستجيب لأمر الله تعالى يوم القيامة، وسيصيبها من هَولِ ذلك اليوم ما يُجبِرها على الانصياع بالتصدُّعِ والانشقاق، وفيه من تهويل هذا اليوم وتعظيمه ما يقذف الرُّعبَ في القلوب، ويَبُثُّ الخوفَ في النفوس.

دلالةُ ﴿عَنۡهُمۡ﴾:

الأرضُ غـطـاءٌ يُـكـشَـف عـن النّاسِ

الجارُّ والمجرور في قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾ متعلِّق بفعل التشقُّق، و(عَنْ) فيه حرف جرٍّ يفيد المجاوزة، والضمير فيه يرجع إلى منكري البعث بخاصَّة، وإلى الناس بصفة

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 334.

عامَّة، فالمعنى: (تتشقَّق الأرضُ عنهم مجاوزةً لهم بعد أن كانوا في بطنها، فيخرجون منها أحياء، كما كانوا على ظهرها أحياء)[1]، وأفاد حرفُ المجاوَزةِ تشبيهَ الأرض بالغطاء الذي يُكشَف عن الناس.

دلالةُ الحال:

إذا كُشِف الغطاءُ؛ أسرعَ النّاس إلى جزائهم

جاء الحال ﴿سِرَاعًا﴾ من الضمير المجرور بـ(عَنْ)، في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾، وهو جمعُ (سَريع)؛ للدلالة على كونهم سراعًا في الخروج، أو في المشي الذي يعقبه إلى محلِّ الحساب[2]، فالمنكرون لن يملكوا من أمرهم شيئًا في ذلك اليوم، وسيكون شأنهم شأن الآخرين في الاستجابة لنداء ربِّ العالمين على وجهٍ بالغ في الإسراع، ولن يستطيعوا التخلُّفَ عن الخروج أو البقاءَ في قبورهم.

دلالةُ اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

تفخيمُ أمر البعث بإنزال بُعدِه المعنويِّ منزلةَ البُعدِ الحِسّيِّ

اسمُ الإشارة في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن يكون إشارةً إلى التشقُّق، ويحتمل أن يكون إشارةً إلى الإخراج المدلولِ عليه بقوله ﴿سِرَاعًا﴾، ويحتمل أن يكون معناه: (ذلك الحشرُ حشرٌ يسير)؛ لأنَّ الحشرَ عُلِم مما تقدَّم من الألفاظ[3]، وفي التعبير باسم الإشارة الموضوعِ للبعيد تعظيمٌ للمشار إليه، وتفخيمٌ لشأنه، بإنزال ما فيه مِنْ بُعد معنويٍّ منزلةَ البُعد الحسّيِّ، والمعنى: (ذلك الإخراج العظيم جدًّا يسيرٌ علينا)[4].

نكتة تنكيرِ الخَبَر:

لا يحيطُ بحقيقة الحشر ولا يعرف صفاتِه على التَّحقيقِ أحدٌ إلّا الله

لفظ الحَشْر في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ خبرٌ لاسم الإشارة، والحَشْرُ هو جَمعٌ مع سَوق[5]، فمعناه جَمعُ الأجزاء

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 333.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 157.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حشر).

بعضِها إلى بعض، وجمعُ الأرواح مع الأشباح، أي: يُجمَع بين كلِّ روحٍ وجسدِها، وجمع الأمم المتفرِّقة، والرمم المتمزِّقة، والكلُّ واحدٌ في الجمع[1]، وأوثِر التعبيرُ به نكرةً منوَّنًا؛ لما يفيده التنكير والتنوين من التعظيم والتفخيم معنًى وجرسًا، فهو حشرٌ لا يحيط أحدٌ بِكُنهِه، ولا يَعرِف طريقةَ حصوله إلّا الله، الذي بيده الإحياءُ والإماتة.

دلالةُ تقديمِ ﴿عَلَيْنَا﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور على النَّعت في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ لإفادة التخصيص، والمعنى: (هو حشرٌ علينا هيِّنٌ يسيرٌ، لا على غيرنا)، وفيه جوابٌ على قول المشركين أوَّلَ السورة: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: 3][2].

بلاغةُ النَّعتِ ﴿يَسِيرٌ﴾:

وُصِف الحَشْرُ باليُسْرِ في قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، ويحتمل أن يكون خبرًا ثانيًا لاسم الإشارة، واختير التعبير به - دون (هيِّن) أو (سَهل) - لأنَّه يدلُّ بمعناه ووَزْنِه للمبالغة (فَعيل) على حصول الخروج والحشر بوجهٍ بالغٍ في السهولة والإسراع، ممّا لا يتحقَّق إذا جاء التعبير بغيره، وفي تنكيره دلالةٌ على أنَّ العبارةَ لا يُسعِفُها أن تَصِف يُسْرَه وشِدَّةَ سهولته.

الحشرُ أمرٌ بالغُ السرعةِ، شديدُ السهولةِ على الله

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التشقُّق والانفطار والتصدُّع:

الشَّقُّ: الصَّدْعُ البائنُ، ومعناه: صَدْعُ الشيءِ الشديدِ صدعًا نافذًا إلى عُمقِه[3]، والانفطارُ هو خروج الشيء أو نفاذُه أوَّلَ أمرِه، شاقًّا ما فوقه بضغط أو بما له معناه[4]، أمّا الصَّدْعُ؛ فهو الشقُّ الدَّقيقُ

الخروج مع التشقُّق يحصل بسهولة، ومع الانفطار يكون بصعوبة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 157.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 157.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (شقق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (فطر).

الذي يفصل الشَّيءَ الصُّلبَ أوِ الملتحمَ، ويخترقه[1]، ولمّا كان قصدُ الآية بيانَ الطريقة التي يحصل بها خروجُ الناس بيُسرٍ وطواعيةٍ من قبورهم للبعث والحشر والحساب؛ كان التعبيرُ بالفعل ﴿تَشَقَّقُ﴾ أنسبَ؛ لدلالته على اتِّساعِ الشَّقِّ ووصولِه إلى أبعدِ مدًى في باطنِ الأرض؛ ليَسهُلَ خروجُ الناس مِن أيِّ مستوًى كانوا فيه لِلِقاء اللّه، بخلاف (الصدع) الذي يكون الشقُّ معه في الطبقة العليا من سطح الأرض، و(الانفطار) الذي يعني الخروجَ من الشقِّ بصعوبة.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صدع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"